استعادة

الاسم الذي حيّر مؤرخي المسرح العربي

سليمان الحدّاد

ازاء المعلومات التي تتوافق حيناً و تتعارض حيناً آخر، استنتجنا وجود شخصين يحملان الاسم ذاته. أحدهما شاعر والآخر ممثل مسرحي. وكلاهما لبناني هاجر الى مصر، وعاش فيها في الحقبة ذاتها. و تشابه الاسماء ممكن لدى الذين تُنسب القابهم الى مهن، كالحدّاد

فارس يواكيم

أثناء انشغالي بدراسة عن دور الشوام في المسرح المصري في بدايات هذا الفن في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر، وقعت على اسم سليمان الحدّاد. تارة يُشار إليه بصفته الممثل المسرحي، وتارة بصفته شاعراً. كما وقعت على اسمَي الشاعرَين والصحافيَّين نجيب وأمين الحدّاد. وفي الكتابات التي تناولت سيرة حياتهما ظهر الاسم الثلاثي هكذا: نجيب سليمان الحدّاد، وأمين سليمان الحدّاد، ما يعني أن سليمان الحداد هو أبوهما.

استشرت المراجع التالية: «تاريخ آداب اللغة العربية» لجرجي زيدان، و«الآداب العربية في القرن التاسع عشر» للأب لويس شيخو، و«الغرر التاريخية في الأسرة البازجية» لعيسى إسكندر المعلوف، و«الشيخ نجيب الحدّاد» لعادل الغضبان، و«معجم الشعراء» الذي أصدرته مؤسسة البابطين في الكويت، و«المسرحية في الأدب العربي الحديث» للدكتور محمد يوسف نجم، و«المسرح المصري في القرن التاسع عشر (1799-1882)» تأليف فيليب سادجروف، ترجمة د. أمين العيوطي، تقديم وتعليق سيد علي إسماعيل، و«تاريخ المسرح في العالم العربي في القرن 19» لسيّد علي إسماعيل.

كان سليمان الحدّاد ممثلاً مسرحيًا من الرواد. اشترك بأدوار بارزة مع كل الفرق المسرحية الشامية التي تكوّنت في مصر: مع يوسف خياط وسليمان قرداحي وأبو خليل القباني وإسكندر فرح وصولاً إلى عزيز عيد وجورج أبيض. وكان من محبّي المسرح فعلاً وأسس جمعية «مرقاة التمثيل» سنة 1900. أما نجيب الحدّاد فبدأ حياته المهنية محرراً في «الأهرام»، وكان أول من استعمل كلمة «الصحافة» بمعناها العصري. نظم الشعر، ونشر ديواناً بعنوان «تذكار الصبا». وبعد وفاته نشر صديقه حنا نقاش «منتخبات نجيب الحدّاد». ترجم العديد من المسرحيات العالمية التي مثلتها الفرق المسرحية المختلفة، كما كتب نصوصاً من تأليفه. واشتغل أخوه أمين مثله محرراً في عدة صحف، بينها «الأهرام» و«البصير»، ترجم مسرحية شكسبير «هاملت»، وصدر ديوانه «منتخبات أمين حداد» بعد وفاته.

جرجي زيدان، الذي عرف هؤلاء شخصياً، قال إن نجيب الحدّاد هو ابن سليمان الحدّاد وأمه هي بنت الأديب اللبناني ناصيف اليازجي، لكنه لم يذكر أن سليمان هذا هو ذاته الممثل المسرحي المعروف. لم تذكر ذلك سوى ثلاثة مراجع:

أشار محمد يوسف نجم في كتابه إلى سليمان الحدّاد «الذي عرفناه ممثلاً كبيراً، وعرفناه مدرّباً للممثلين، ومديراً لبعض الأجواق الكبيرة. وعرفناه من خلال آثار ابنه، الكاتب المعروف نجيب حداد (...) وكان يمثل المسرحيات التي ترجمها أو وضعها ابنه نجيب (...)»، وقدّم لنا في فترة عمله في المسرح، معظم مسرحيات ابنه نجيب، ك«صلاح الدين» و«السيد» و«حمدان» و«شهداء الغرام» و«السرّ الهائل». وفي كتاب «تاريخ المسرح في العالم العربي» ولدى الحديث عن تقديم فرقة إسكندر فرح مسرحية «الرجاء بعد اليأس» أخبرنا سيد علي إسماعيل: «وقد خطب قبل عرضها المؤلف نجيب الحدّاد، ابن الممثل سليمان الحدّاد»، أما فيليب سادجروف فكتب: «وقد عرض سوري آخر، وهو سليمان الحدّاد، شيخ الجالية اليونانية الكاثوليكية بالإسكندرية، مسرحية (مي وهوراس)، مع فرقة قام بتدريبها على مسرح زيزينيا يوم 4 يونيو (حزيران) [1881]. ولد سليمان الحدّاد (1829-1915) في لبنان، وتزوج ابنة شخصية ادبية شهيرة، ناصيف اليازجي. انتقلت الأسرة إلى مصر في 1873، حيث عمل سليمان تاجراً، ويبدو أنه اكتسب سمعة لا بأس بها كممثل في مصر، ربما في فرقة الخياط، رغم أنه ليس من المعروف بالتأكيد إلى أي فرقة كان ينتمي». وفي حاشية في الصفحة ذاتها حرّرها سيد علي إسماعيل، قال: «سليمان الحدّاد هو صهر عائلة اليازجي (...) بدأ حياته العملية في مصر مدرساً للغة العربية والفرنسية، ولكنه هوى التمثيل وانضم إلى فرقة يوسف الخياط عام 1884».

معلومات ساد جروف هذه تتفق مع ما ذكره نجم وإسماعيل بشأن تصنيف سليمان الحدّاد ممثلاً مسرحياً. وقد أخبرنا أن زوجته بنت ناصيف اليازجي، ولم يذكر أنه أبو نجيب وأمين. وأضاف ساد جروف معلومات تتعلق بكونه شيخ «الجالية اليونانية الكاثوليكية»، وبتواريخ مولده ووفاته وقدومه إلى مصر واستقراره بها، استقاها من كتاب المؤرخ عيسى المعلوف. غير أن مترجم الكتاب الإنكليزي لم ينتبه إلى أن المصطلح يعني «طائفة الروم الكاثوليك» وهي طائفة مسيحية مشرقية، هاجر كثيرون منها إلى مصر، وبينهم مشاهير في الثقافة والإعلام.

وقد جاء عند عيسى المعلوف (وكتابه المرجع الذي استند إليه عادل الغضبان) أن سليمان الحدّاد ولد في بلدة عين قنية سنة 1829، وله ديوان شعر عنوانه «قلادة العصر» وأنه اقترن بحنّة ناصيف اليازجي وزُرّقا بنجيب وأمين وبأبناء آخرين؛ وأنه قصد الإسكندرية بدعوة من البطريرك غريغوريوس يوسف الذي أقامه شيخاً على طائفة الروم الكاثوليك. ولم يذكر المعلوف، والذين أخذوا عنه، أن سليمان الحدّاد كان ذا صلة بالمسرح.

بطاقة بريدية من القاهرة عام 1900 (Getty)

> ولد في بلدة عين قنية سنة 1829 وله ديوان «قلادة العصر»

> عمل سميّهُ مع فرقة جورج أبيض سنة 1912 مدرّبًا للممثلين

شخصان بالاسم ذاته

جاءنا الردّ الحاسم من إدارة كنيسة الروم الكاثوليك بالإسكندرية بعد مراجعة السجلات المحفوظة لديها. نعم هناك شخصان بالاسم ذاته، الأول يسبق اسمه لقب الشيخ، توفي يوم 18 اكتوبر/ تشرين الأول 1915، والثاني مسجّل باسم سليمان الحداد (من دون القاب) توفي يوم 19 فبراير/ شباط 1917، وكان متزوجا بإيطالية تدعى إرميتا جاكومو. وهذا يتوافق مع فرضية العمثل، الذي كان من الصعب وقتها اقترانه كمشخصاتي ببنت عائلة مشرفية.

إطلالة

تلك التناقضات المريبة

المصوّر الأعمى

يضع صدق الفنان السياسي المؤيّدَ لأنظمة الطغيان بداخله، في حرج أخلاقي وإنساني، لا يتمكن هو شخصياً من الدفاع عنه

ممدوح عزام

الافت في شأن الكاتب البيروفي فارغاس يوسا أنه يجاهر بدعم اليمين السياسي في بلاده، بينما تنضح رواياته بالإدانة الكاملة والتي لا مجال فيها لأي لبس، لممارسات هذا اليمين الحاكم في بلاده وفي غيرها من البلاد. وأي جردة لرواياته المترجمة إلى العربية تقول إنها لا تتسامح مع سياسات تُعادي الإنسان، لا في البيرو، ولا في الدومينيكان، ولا في بريطانيا العظمى التي كانت لا تزال تحارب في أيرلندا، بحسب المواقع التي تجري فيها بعض رواياته، وحيث كانت تجري أكثر أساليب القمع وحشية، ولهذا فإن هذا التباين المشين في مواقفه السياسية يثير كثيراً من الأسئلة الحائرة التي لا تجد لها جواباً شافياً. بينما يبدو ذلك الوضوح الذي لا يساوم البتة في الانحياز لقضايا الإنسان، كالحرية والكرامة والحب، أكثر غموضاً وتعقيداً وصعوبة في الفهم.

يبدو فارغاس يوسا اليوم، سليلاً للعشرات من الكتاب الذين كانت حياتهم الفكرية أو السياسية نقيضاً صارخاً لكتاباتهم الروائية، ففي كتابه «الرواية التاريخية»، يكيل جورج لوكاش المديح للروائي الاسكتلندي والتر سكوت، صاحب الروايات التاريخية الشهيرة، حين رأى في تلك الروايات تجسيداً للمنعطفات الصحيحة للتاريخ. إذ استطاع أن يخلق ذلك البطل الوسط أو العادي .البطل الايطولي الذي يُمثل سمة العصر الذي عاش فيه الروائي. كان والتر سكوت ينتمي سياسياً إلى تيار المحافظين، وقال لوكاش إنه «يرقى إلى مصاف أولئك المحافظين المخلصين في إنكلترا الذين لا يبرّئون أي شيء في الراسمالية، ويتعاطفون مع البشر الذين يسحقهم التطوّر الجديد، ولكنهم لا يبدون أي معارضة له».

تبدو الرواية (والفن عموما) في كل حالة من تلك الحالات أشبه بالمصفاة، فمن خلال شباكها الدقيقة لا يتسرب أي غش أو تلاعب بالحقيقة أو بالمشاعر، هذا مكسب كبير للرواية، فإذا كان يوسع أي كاتب أن يؤيد السلطة هنا أو هناك لأسباب عديدة، منها ما يتعلق بالانتهازية أو البحث عن المصلحة، أو منها ما يتعلق بقناعات حقيقية من الناحية السياسية، فإنه لا يستطيع ،إذا ما كان كاتباً صادقاً مع الحقيقة والفن، إلا أن يكذب نفسه. يوسا نفسه قال: «أما الرواية فتتمرّد وتخرق الحياة، بينما الأجناس الأخرى لا تستطيع إلا أن تكون مستعبدة» يضع صدق الفنان السياسي المؤيد لأنظمة الطغيان بداخله، في حرج أخلاقي وإنساني، لا يتمكن هو شخصياً من الدفاع عنه. لا أعرف إذا كانت الأعذار مقبولة في أي زمن لتسويغ هذا التناقضات المريبة، وثمة من لا يغفرها مطلقا لأي كاتب، والأساس الذي يستند إليه هؤلاء هو الموقف الأخلاقي الذي يجب أن يتضمن

> الكتابة هي التي تدين صاحبها قبل أن يتهمه اي شخص آخر

وحدة بين القول والفعل، بين السياسي والفنان. وثمة من يقرّر اليوم مقاطعة الكتابة، غير أنها كما نرى، هي التي تدين صاحبها قبل أن يرفع أي شخص لائحة الاتهام ضده.

كان البرتو مانغويل قد كتب في نقد فارغاس يوسا (كتابه: «في غابة المراة») بأنه: كما لو كان مثل مصوّر أعمى يعجز عن رؤية الواقع البشري الذي كانت عدسته قد التقطته بقوة كبيرة.

(روائي من سورية)

عمل للفنانة السريالية ريميديوس فارو. زيت على ورق مقوّى، 1956

وقد انفرد المعلوف بذكر تاريخ مولده ووفاته. وليس في المراجع التي تناولت سيرة سليمان الحدّاد الممثل أي إشارة إلى مولده ووفاته، سوى أن آخر خبر عنه أنه عمل مع فرقة جورج أبيض لدى تأسيسها سنة 1912 مدرّباً للممثلين على الإلقاء. أما لويس شيخو، فقال: «ولم نقف على تاريخ وفاة الشيخ سليمان، ولعله تخلّف عن وفاة ولديه». وهذا صحيح، فلقد توفي ولداه قبله وهما في عمر الشباب، بينما عاش هو ستة وثمانين عاما. توفي نجيب سنة 1899 عن اثنين وثلاثين عاماً وأمين توفي سنة 1912 وهو في الرابعة والأربعين. وأما «معجم الشعراء» (البابطين)، فلم يملك محرر المقالة عن سليمان الحدّاد فيه سوى أن يذكر أن «الشاعر كان حيًا عام 1891»! (هو عام نشر ديوانه «قلادة العصر»).

(كاتب من لبنان)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

وقفة مع

جابر خليفة جابر

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أسئلة سريعة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع متلقيه

البصرة ـ العربي الجديد

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

منشغل بالإعداد لمحاضرة أكاديميّة دُعيت لإلقائها في جامعة «مورسيا» بإسبانيا، عن أسرة بني مردنيش الأندلسية.

■ ما هو آخر عمل صدر لك وما هو عملك القادم؟

منذ شهر صدرت روايتي «نور خضر خان» عن دار «خطوط وظلال» في عمّان. أمّا عن عملي القادم، فأنا أشتغل على عدّة كتب، لكنّ لديّ ثلاثة كتب نقد جاهزة للطبع، قد تكون هي الإصدارات القادمة.

■ هل أنت راضٍ عن إنتاجك ولماذا؟

راضٍ، إنما طموحي أكبر، ويمكنني القول إنّني، مع تقدُّم العمر، في سباق مع الوقت لإنجاز مشاريعي الكتابيّة، وأرغبُ جدّاً في نقل كلّ ما أعرفه على الورق، لتطّلع الأجيال القادمة عليه.

■ لو قُيّض لك البدء، من جديد، أي مسار كنت ستختار؟

هذا أصعب الأسئلة عليّ. ما ضررتُ به كان قاسياً، ولا أتخيّل أن أمرّ بالمعاناة ذاتها من جديد، ولكنّني الآن نتاجُ لكلّ تلك الحياة، وهكذا، فأنا بين خيارين كلاهما صعب، بل صعب جداً، ولن أقبل به: أن أكرّر ماسي حياتي الماضية، أو أن أختار حياةً سهلةً مريحة، فيكون الناتج نسخة مكرّرة تُشابه ملايين البشر.

لكنْ إن كان ثمة مسارٌ سَعيدٌ يُنتجُني كما أنا الآن، فساختاره من دون تردّد، مع ضمانات طبعاً.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

التغيير الذي أريده للعالم هو الذي خلقت به البشريّة بأشكال مختلفة، وجوهر واحد، وهو السلام، والمحبّة، والتعايش الإنساني، في بلاد فاضلة تسعُ الأرض كلّها والبشرية كلّها. وهذا حلم، لكنّه حلمٌ جميل ومن حقّنا أن نحلم، بل لا معنى للحياة من دون حُلم جميل وأمل، أملٌ بالخلاص من كلّ هذي المآسي.

■ شخصية من الماضي تود لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

الذين أودّ لقاءهم هم حضورٌ معي، أحيا معهم الآن فعلاً، ولا أراهم موتى أو غائبين.

■ صديق يخطر على بالك أو كتاب تعود إليه دائماً؟

يخطرون، ولا أعدُّهم، ولكنّي أحنّ إليهم

جابر خليفة جابر

فعاليات

حتى 23 من الشهر الجاري، يتواصل في «غاليري صلاح الدين» في سيدي بوسعيد، بالقرب من تونس العاصمة، معرض فوتوغرافي لأعمال المصوّر **قيس بن فرحات** يحمل عنوان **حياة كلب**. صورٌ بالأبيض والأسود تتتبّع كلاب مدينة تونس، ومن خلالها يقدّم بن فرحات رؤية عن الواقع العام للمدينة اجتماعيا وثقافيا.

تقدّم «أوركسترا القاهرة السيمفونية»، بداية من الثامنة من مساء غد السبت، عرضاً بعنوان **السيمفونيات الكبرى 3** في «دار الأوبرا المصرية» بالقاهرة، بقيادة المايسترو **احمد السعيدي** وبمشاركة عازف البيانو البولندي **نيكولاي فوزنياك**. في هذا العرض يُؤدّى كل من كونشيرتو البيانو للموسيقار النمساوي موتسارت، و«السيمفونية الثانية» للموسيقار الروسي رحمانينوف.

ينظّم «متحف دار إي ديستوار» الفرنسي، مساء اليوم، محاضرة عن بُعد يعود فيها **اليكس دي مزيير** إلى المعرض الدولي الذي اقيم في باريس عام 1900 واعتُبر وقتها **حدثا كونيا**. يفكّك المحاضر هذه المقولة مع تبيين ما جرى عرضه في التظاهرة وهل مثّلت حقا قاطرة للابتكار العلمي الفني كما اراد منظموها؟

حوار الثقافات بين إسبانيا والعالم العربي، عنوان محاضرة يقدّمها المترجم التونسي **رضا مامي**، يوم الإثنين المقبل، 17 من الشهر الجاري، بداية من السابعة مساء في «المركز الثقافي سان شينارو»، ضمن فعالية بعنوان **الكلمة للادباء** تنظّمها «بلدية مدريد». يدير النقاش المستعرب **باسيليو كانيادا**.

بطاقة

روائي وباحث عراقي، من مواليد الفاو في محافظة البصرة عام 1957. حاصل على ماجستير في التاريخ الأندلسي. صدر له: «هدى والطواهر» (رواية، 2003)، و«حدائق فاطمة» (رواية، 2005)، و«طريدون» (قصص، 2006)، و«الرجل الغريق» (قصص، 2009)، و«أصوات أجنحة جيم» (قصص، 2009)، و«الفاو تُحتضر» (سرد، 2009)، و«مخيّم المواركة» (رواية، 2012)، و«بنو مردنيش» (تاريخ، 2016)، و«زيد النار» (قصص، 2017)، و«جيم جديد» (قصص، 2017)، و«سقوط غرناطة» (تاريخ، 2019)، و«نور خضر خان» (رواية، 2021).